

حياة دايات الجزائر العثمانية [1671_1830] دراسة وصفية

بن عمار مصطفى
زيان عاشور بالجلفة

تواجد العثمانيون في الجزائر مدة ثلاث قرون وأسسوا لنظام حكم، يختلف ويتميز كثيرا عن كل الأنظمة الموجودة في العالم الإسلامي إسمًا، شكلًا ومضمونًا، نظام أسس حبر الكثير من الأقلام المحلية والأجنبية منهم من وصفه وصفًا دقيقًا فيه جانب من الموضوعية وهذا ما نستكشفه من قراءتنا لكتاب المرأة لحمدان خوجة ومنهم من صورته على أنه نظام عسكري إقطاعي ديكتاتوري وهذا ما تداولته وسوقته الكتابات الغربية وبطبيعة الحال هاته الكتابات فيها جانب من الذاتية لأن أغلب من كتبوا إما رحالة غير متخصصين أو عسكريين جواسيس أو أسرى حرب كتبوا لمصالح ما؟

وهذه الكتابات الغربية على العموم تصف وتتعت دايات الجزائر بأفبح الأوصاف وتعتبرهم مجرمون وقطاع طرق وميليشيا ولصوص بحر وغيرها من الأوصاف وكأن ديوان الجزائر ومؤسسات الأيالة آنذاك غير جديرة وغير مؤهلة باختيار حكامها وكأن هذه البلاد تعاني وعاجزة أن تتجب رجلا يكون في قدر المسؤولية المنوطة به وهي حكم أيالة الجزائر.

إن هذا التحامل من قبل الأدبيات الغربية وبعض الأقلام المحلية التي نقلت سهوا أو عمدا هذه الصورة المظلمة عن دايات الجزائر تدفعنا للتساؤل عن صفات وتركيبية هؤلاء الحكام وعن حياتهم الشخصية والجانب الإنساني فيها وعن حياتهم السياسية وكيف وصلوا إلى الحكم؟

نظام حكم الدايات (1671م-1830م) طبيعته وخصائصه :

تعتبر هذه الفترة مرحلة إنتقالية تميزت بالإستقرار تارة وبالفوضى تارة أخرى، حيث إنتقلت الجزائر من مرحلة الفوضى والعنف والإغتيالات السياسية التي عاشتها طيلة فترة حكم الأغوات 1588م-1659م وبعد أن فشل هذه المرحلة عين الديوان أحد اعضاءه 1 من طائفة الرياس ويعتبر هذا الحدث أهم حدث ميز هذه الفترة ومنعرج تاريخي مهم وهو عودة الرياس إلى الصدارة السياسية والسيطرة على الحكم من خلال تعيين محمد التريكي في منصب الداي.

ويرى سبنسر Spencer القراصنة كما يسميهم هو أنهم إغتتموا الفرصة لصالحهم وإستحوذوا على السلطة، لكن الإنكشارية لم تتساهل في إمتيازاتها في الحكم بل شاركت من خلال إحتفاظها بأهم منصب وهو منصب الأغا وهو القائد الأعلى للجيش الذي إزداد نفوذه وتوسعت صلاحياته وأصبح يشارك الداي في جميع القرارات السياسية المتخذة، حيث أن إسمه كان يظهر إلى جانب إسم الداي في التوقيع على المعاهدات الدولية وبالتالي أصبحت الإنكشارية تمثل القوة الثانية بعد الداي.

وبالعودة إلى الداي محمد تريكي فقد لقي هذا الأخير التزكية والقبول من قبل الباب العالي، الذي أرسل مبعوثه الخاص والمعروف بـ«كابيسي باشي» إلى الجزائر وعه فرمان التأكيد ومن هنا دخلت الجزائر مرحلة جديدة وتقليد سياسي جديد في تعيين الحكام وحتى في التبعية المطلقة أو الإنفراد بالسلطة دون الرجوع للباب العالي.

إن كل داي يختلف عن الآخر وسنقدم بترجمة لبعض الدايات في الفصول اللاحقة ، لكن على العموم في الكتابات المحلية نجد بعض الإنصاف لبعض الدايات ومدح لسلوكياتهم وصفاتهم الأخلاقية والعملية لما تركوه من أثر وإنجازات محلية وإقليمية .

كما أنه كانت لهم مواقف ثابتة تنموا على الحكمة وقوة وصلابة الشخصية وهذا ما نجده في شخصية الداي علي شاوش ،الداي عثمان باشا،الداي علي نقسيسوالداي علي بوصبع وهذا على سبيل المثال لا الحصر وإن كانت هناك أخطاء وهفوات فهذا ليس معناه أن هؤلاء الحكام غير جديرين بالحكم فالملاحظ للظروف الأنية والدولية أنذاك يستطيع أن يدرك الأمور ويجد سببا للأخطاء والمواقف السلبية إن صح التعبير .أما الأدبيات الأوروبية فقد جاء فيها الكثير من المغالطات والتعريفات المثيرة للشبهة والتي في وصفها لحكام الجزائر على العموم بالصوص والقرصنة ، أما بالنسبة للداي كمنصب فقد وصفه لوجي دو تاسي :’’ بالسيد المطلق للبلاد ويحكم عموما كل المملكة فهو يكافئ وهو يعاقب من يريد وكيفما يريد ’’’ ويصفه إيمريت Emerit بأنه مستبد وليس له حرية أرستقراطي لكنه محروم من أرباح القرصنة⁽¹⁰⁾ أما هابنسترايت فيقول أنه صاحب سلطة مطلقة .⁽¹¹⁾

الترشح لمنصب الداي

كما سبق وذكرنا فإن أول داي عينه الديوان وبقي هذا التقليد ساري المفعول أي عن طريق الانتخاب أي أنه بعد وفاة الداي يجتمع الديوان ويترشح أحد الموظفين السامين من الجيش أو من الوزراء وغالبا ما يكون من الجيش في البداية كان من بين طائفة الرياس ثم بعد ذلك اصح المرش من طائفة اليولداش وفي بعض الأحيان من الوزراء .

إلا في حالات شاذة يمسك الداي الحكم بالقوة بعد أن تحاك مؤامرة إنقلاب على الداي تنتهي بإقتتال اجنحة السلطة من يولداش ورياس وحتى من قبل الديوان نفسه ، وتنتهي العملية بتصفية الداي السابق ومعاونيه وفي بعض الحالات يوصي الداي قبل وفاته بأن يخلفه أحد مساعديه في الحكم من أجل سد الفراغ السياسي وعادة يكون الخزانجي أو وكيل الحرج أو الأغا وأغلب الدايات الذين تعاقبوا على الحكم كانوا من بين هؤلاء الوزراء وهذا راجع لسبب واحد وواحد وهو لدرائتهم وخبرتهم بشؤون الحكم.⁽¹²⁾ وفي حالات أخرى يكون الداي شخصية غير معروفة أصلا ولم تتقلد أي منصب وليست لديها أي رتبة عسكرية أو صفة قانونية أو جاه أو نسب بل تكون من عامة الجند جندي بسيط أو من عامة الناس وهنا نورد شخصيتان على سبيل المثال لا الحصر شخصية الداي احمد باشا (1695م_1698م) والذي كانت مهمنته صناعة الأحذية وأيضا شخصية الداي علي باشا الغسال والذي كانت مهمنته تغسيل الموتى.⁽¹³⁾

مراسيم تنصيب الداي قواعدها وبروتوكلاها

يتم تنصيب الداي بحضور أعضاء الديوان وكبار مسؤولي الأيالة وأعيان البلد يقول حمدان خوجة :...ومن توفرت فيه جميع الشروط الضرورية يتم إنتخابه ويعن باشا ، ثم يجلس حيناً على الأريكة بعد أن يكون قد إرتدى قفطان الدايلراحل بعد ذلك يؤدي اليمين القانونية ويحتفل بتعيينه ...»⁽¹⁴⁾

ويعلن عنه الداي الجديد ومراسيم تعيينه في أرجاء المدينة ،ويعتبر فرمان التولية بمثابة مرسوم سلطاني بموجبها يتم تثبيت وتركيز حاكم الجزائر ويأتي فرمان التولية دائما مكتوب فيه حكام محروسة الجزائر وبلغة راقية ديباجتها مدح وإكبار بحاكم الجزائر وعلى سبيل مثال لدينا فرمان تولية الداي علي باشا بوصبع وأهم ما جاء فيه :..... قدوة الغزاة والمرابطين ،عمدة الحماة والمجاهدين المختص بمزيد من عناية الملك المعين دايا أوجاق جزاير الغرب معلومك ببلوغكم مكتوبكم المتصف وفاة بلرباي جزاير الغرب محمد باشا وانتقاله إلى الله تعالى لدار البقاء وإنحلال حكم الباي ببلاد وكف انت للمتوفي الموصى إليه كخية اغا العرب شعار توليتكم ظاهر وباهي ونشيئة توليتكم (كذ) توليتكم بإنتخاب المفاتي والقضاة ونقيب الأشراف واغا الإنكشارية

وقبطان ودفتر دار ومشاهير الأعيان واكابر أهل الديوان والعلماء والصلحاء والأئمة والخطباء والأشراف وسائر الغزاة والمجاهدين وغني وفقير وكبير وصغير بإتفاق الجميع على تنصيبك دايا باي بيلار جزاير الغرب .. فرمان جليك القدر لايسعه التأخر...» بالإضافة على هذا الفرمان ترسل الدولة العثمانية قفطان مذهب وسيف شرف وعمامة وهذا التقليد السلطاني بقي حتى عهد الداوي حسين. وبدورها ترسل حكومة الجزائر (الديوان) رسالة إلى الباب العالي تعلن فيها تعيين الداوي الجديد⁽¹⁶⁾

الجديد يقول حمدان خوجة: «...وبهذه المناسبة تكتب رسالة تحمل إمضاء وخاتم كل واحد من أعضاء الديوان وخاصة القاضي والمفتي ونقيب الأشراف...»

مراسيم تعيين الداوي حسين

بعد وفاة الداوي علي خوجة لم يطلع على الأمر إلا صهره السيد مصطفى بن الشيخ بن مالك فذهب هذا الأخير إلى حسين بمنزله وبعد ثد أعلمه بموت الداوي لم يصدق الداوي حسين الخبر وأصبح خائفاً إلا ان مصطفى أكد له بصدق الخبر وذهب إلى دار السلطان وأعلم الحضور بأن الداوي علي خوجة وفاته المنية وترك وصية بتولية خوجة الخيل حسين باشا تفاجأ حسين خوجة بهذا الخبر والمنصب الجديد حاول التهرب من المسؤولية إلا ان رجال الديوان والإنكشارية اصررو عليه وربما كان رفض الداوي لهذا المنصب مخافة القتل⁽¹⁷⁾.

وقد جاء فرمان القبول من الباب العالي على شخص حسين باشا كحاكم وداي الجزائر: «...علمنا بأن المقصود بالجلوس مكان المتوفي علي باشا هو انت وهذه المرة وبسبب سعي وتوجيهات محاسن الجميع الواردة في طلبات ومعروضات وجهاء و أعوان الجزائر يتفضل ملك الأنعام بقبول جداراكم...» وقد كان للديوان والأعيان دور بارز في عزل وترشيح الداوي فعلي سبيل المثال في مراسلة من الداوي علي خوجة إلى السلطان محمود الثاني بتاريخ 06 أكتوبر 1817م أخبره فيها ان العلماء والمشايخ والعلماء والأغنياء والفقراء والأوجاق اجتمعوا ليتبادلوا الرأي فيمن يتولى امرهم تماشياً مع مبدا القرآن فاتفقوا على عزل عمر باشا وتعيين علي خوجة وبالتالي لجأوا إلى تنفيذ العزل وفق أحكام الشريعة الإسلامية التي تقر بعزل الحاكم في حال ارتكاب المحضورات والشبهات او عجزه عن القيام بمهامه.⁽¹⁸⁾

مهام وصلاحيات الداوي

الداوي هو المسؤول الرئيسي عن جهاز الحكم بالأيلة والممثل الشرعي للسلطان العثماني وبذلك جمع الداوي بين منصب الباشا الشرفي والوظيفة العملية، بعد ان كان قبل ذلك يكتفي بلقب الداوي بينما لقب الباشا كان من اختصاص مبعوث السلطان العثماني الذي كانت له سابق أحقية تمثيل الباب العالي لدى ديوان الجزائر.⁽¹⁹⁾

ويبدأ الداوي مهامه الرسمية بمجرد وصول الفرمان العثماني عن طريق فيجي باشي اما يسمى مبعوث الدولة ومن مهامه الدي الأمر بتطبيق القوانين المدنية والعسكرية،⁽²⁰⁾ كما ان يقوم تعيين من يساعده في مهامه من وزراء وموظفين ويشرف هو شخصياً على كل إجتماعات الديوان الكبير والديوان الصغير (مجلس الوزراء الصغير) كما انه يعين جكام الأقاليم (الباليك) ويعين أيضا الضباط السامين وترقيتهم. كما انه صاحب القرار في الشؤون الخارجية فهو الذي يعلن الحرب ويوقع معاهدات السلام ويجدد ويفرض حقوق الإستغلال والإستثمار للشركات الأجنبية.⁽²¹⁾

وهو المسؤول عن تسير ورد إسمه في المحاكم الشرعية بهذه العبارة «،،،، الأمين الهمام فخر الملوك العظام مولانا الدولتلي السيد...»⁽²²⁾

ويعدد الأستاذ سعيدوني مهام الداوي كمايلي :

— له مطلق الصلاحيات في التصرف في شؤون الأيلة

__ الإحتفاظ بمفاتيح خزائن الأيالة

__ توقيع المعاهدات وإستقبال السفراء

__ تطبيق القوانين المدنية والعسكرية

__ اختيار حكام المقاطعات او عزلهم

__ مراقبة إيرادات الأيالة وخزینتها (23)

كما انه من مهام الداي الإشراف على القضاء والحكم في القضايا التي ترفع إليه يقول في هذا الصدد الرحالة هابنسترات: «...يجلس الداي منذ الصباح في قاعة الإستقبال في قصره وفي إمكان كل واحد ان يعرض قضيته وقبل ذلك يتخلّى عن سلاحه وكلمة شرع الله أو عدالة الله لها في هذا المقام وزن كبير بحيث أن كل فرد مهما علا شأنه يقومبتطبيق حكم العدالة بمجرد النطق به (24) ولا يستغرق الحكم وقتا طويلا سوى ما يتطلبه حضور المتقاضين وسماع الشهود وتنفيذ الحكم يتم في نفس اليوم لكن هناك إختلاف في تنفيذ الأحكام. اما بالنسبة للأتراك تتم محاكمتهم في سرية وتنفيذ الأحكام أيضا في سرية في حين ان بقية الرعية تطبق فيهم الأحكام عند باب عزوف. (25)

الداي يومياتها وإقامته

أخلاق الداي : لكل شخص صفاته وطبائعه الحميدة والذميمة وقد كتبت الكثير من الأقلام المحلية والغربية عن اخلاق حكام الجزائر على العموم وبعض الحالات من حكام الجزائر إشتهرت بغلصتها ومساوئها الكثيرة وهي حالات شاذة إستغلّتها بعض الأقلام لتشويه حكام الجزائر.

ومن باب الإنصاف وجدنا بعض الكتابات المحلية تنصف حكام الجزائر ونحن سنقدم شخصيت على سبيل المثال لا الحصر وهماالدي محمد بكداش (1700م_1710م) حيث يعتبر المؤرخون من أهل العلم والأدب لانه كان يصاحب العلماء ويقربهم إليه من أمثال احمد البوني الذي ذاع صيته في بلاد المغرب والمشرق. (26)

كما نجد شخصية الداي علي بابا شاوش الذي يقول عنه الزهار : «...انه رجل شرف وذوق وعقل متزن وكان يشرف بنفسه على العدالة وإعطاء الحقوق » ويذكر لنا الزهار ان الداي محمد بن عثمان كان محبا للجهاد وانه رفض الزواج واثّر مهره للجهاد بقوله لوزراعه «...، ما هو الأفضل هل أتزوج بهذا المال او نضعه في الخزانة ونجاهد به ويكون لنا عوناً في دفع العدو ..» (27) ويصف لنا الزهار الداي مصطفى باشا (1797) بقوله «... كان رجلا صالحا، حليما كريما محبا للعلماء والصلحاء، رحيما بالفقراء والأيتام محبا للمجاهدين والغزاة وكان شجاعا.... » (28) وفي وصفه للداي علي (1816م) يقول : «...انه كان شهما حاسما قضى على فتنة اردل الجيش كما انه امر بمحاربة الفساد والانحراف ويقول ايضا : «... ثم إنه امر بإبطال الزنا

والخمر ومن وجدوه مخمورا او زانيا فيبعث به للقاضي لاجراء الحد الشرعي وامر الناس بالصلاة مع الجماعة ونادى مناديه : ان من يبقى بدكانه بعد الأذان فلا يلومني إلا نفسه...» (29).

لباس الداي

يصف فانتور دي بارادي venture de paradis لباس الداي محمد عثمان بشكل دقيق : «... كان الداي يرتدي في يومي العيدين الخلعة التي أريها إليه السلطان الأعظم وكان يجدها كل عامين أو ثلاثة أعوام وهي عبارة عن قفطان مفتوح اليدين مصنوع من قماش قطني وفي مقدمته قطعة قماش من الحرير الأصفر على شكل لهيب النار ، وهذا القفطان زهيد الثمن من الناحية المادية حيث لا يساوي 15 قرشا تركيا ،،، كما انه كان يضع ريشة من الماس فوق العمامة عندما يرتدي القفطان أيام العيد ما فيما عدا ذلك فلم يكن للداي من لباس يميزه عن بقية الناس ، وكان يرتدي قميصا فوقه صديتان ومعطف قصير يدعى : (جابدولي) وكان ذاك من الجوخ (الملف) وسروال كبير يكون من الجوخ في الشتاء ومن قماش الكتان في الصيف ويضع فوق كل ذلك برنسا

أبيض اللون وعلى رأسه عمامة مستديرة من الحرير الرقيق الأبيض فوق شاشية حمراء وينتعل بشمقا من الجلد الأصفر فوق خف من ذلك اللون يدعى ترليك ،⁽³⁰⁾

ولم يكن قط في أثوابه شيء من الذهب والفضة ، وفي فصل الشتاء كان يضع جوارب أويرتق فتق في ثيابه فكان الشح حتى في الأشياء التافهة هو نقطة الضعف في نفسه ، إنما الأمر الذي يكاد يبرر هذا الشح هو أنه لا يقع إلا قصد التوفير على خزينة الدولة وسعيا

في إزدهارها ولقد كانت حقوق البايلك مقدسة عنده ولم يتساهل قط مع إنسان .

ما يمكننا ملاحظته أن لباس الداوي بسيط جد وإن كان يصفه فانتور دي بارادي paradis de venture على أنه شح إنما هو زهد وتواضع وذلك طبع الكثير من الحكام المسلمين بدا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وقت تميز بعض الدايات بإرتدائهم ملابس فاخرة حيث كانوا يهتمون بمظهرهم الخارجي .

إقامة الداوي

بطبيعة الحال كانت إقامة الداوي كأي حاكم أو سلطان بقصر مؤمن تحرسه فرقة من نخبة الجيش وإقامة داوي الجزائر كانت بقصر القصبه وما يميزها عن إقامات الحكام والسلاطين هو أنه يقيم في قصره بمفرده دون عائلته لأن بعض الدايات فرض عليهم قانون يحرم عليهم الزواج ، إلا أنه في بض الحالات كان لبعض الدايات عائلة فكان يقيم يوم الخميس مع عائلته في إقامة (بيت خارج المدينة) .⁽³¹⁾

يسكن الداوي في الطابق الأعلى في القصر ويسمى السرايا أما الطابق السفلي فنجد به المحكمة أو ما يسمى بمجلس الحكومة أين يتواجد مجلس الداوي وكذلك يوجد بالقصر سجل الأرشيف بالإضافة الى إقامة (منزل) الخزنदार وهناك يقيم أيضا الموظفين اللذين يحتاجهم الداوي يوميا وهم المترجمان والطباخ والطبي وإثنى عشر شاوشا عربيا وأربعون اسير وإثنين وثلاثين نوبجي تحت إمرة الأغا مهمتها تأمين القصر .

بنسبة لهندسة القصر فإن الأجنحة والأروقة ضيقة خاصة مكان إقامة الداوي ولا يمكن لأحد الصعود إليها دون رخصة ، وعند المعاملات واللقاءات الرسمية يكون عن طريق المترجم أو الخزناجي .⁽³²⁾

أما عن يوميات الداوي فيقول لومير قنصل فرنسا بالجزائر «...إن الداوي مجبر على البقاء في القصر طول الوقت ، ويتحتم عليه عند إنبلاج صباح كل يوم جمعة الجلوس على المقعد في أقصى ركن الفناء ، وعلى يمينه كتاب الديوان الأربعة جالس على يساره الخزنदार واقف ، ويبقى في هذا المكان حتى الساعة التاسعة يصعد إلى الطابق الأول ليستريح في مطبخه في إنتظار الطعام الذي يقدم له ويتناوله مفردا بعد الغداء ينتقل إلى سراياه الخاص أعلى القصر ، وعلى الساعة الثانية بعد الظهر يعقد إجتماعا مغلقا في سراياه يدرس رفقة وزرائه بعض المسائل والشؤون المهمة وأمور الدولة وبعد هذا الاجتماع يقدم له العشاء ثم ينام⁽³³⁾ ،

ومن ناحية أخرى فإن الداوي يخضع لقوانين صارمة حسب شاوشا shaw حيث يقول أنا الداوي أعزل عن عائلته ولا يراهم إلا مرة في الأسبوع فلا يخرج من منزله إلا نادر⁽³⁴⁾ لكن رأي شاوشا فيه جانب من الصحة فأبسط مسؤول في الدولة ربما يخضع لدوام اسبوعي ويوم عطلة فمالك بأعلى هرم السلطة وصلاحياته الواسعة التي تفرض عليه مقابلة مسؤولي الدولة ووجهاء الدولة والأعيان والقناصل صف إلى ذلك أنه قاضي الدولة في مسائل كبرى... إلخ فهذا يمكننا أن نقول أنها جدية وإخلاص في العمل وتقدير للمسؤولية المنوطة به .

وقد خصص الداوي علي خوجة والداوي حسين جناح خاص للحريم يشمل نساء الداوي ونساء الخزناجي والقائمين على خدمته وكان الداوي حسين يسمح لنساء القصر بالتجول في حدائقه الكبيرة .

راتب وأموال الداوي طبيعتها ومصادرها

إن الدراسات التاريخية الحالية تولي إهتمام إلى أموال الحكام وفي هذا السياق يقدر راتب الداوي حوالي عشر قطع نقدية من صنف إيكو (ecus) وهو ما يقصد به ريال الجزائر أو البوجو الذي تقدر قيمته سنة 1830

ب180' فرنك ،اما المداخل الأخرى فحسب لوجي دو تاسي فقد قذرت ب 200 ألف قرش او فلورين في السنة الجزء الأكبر يودع في الخزينة الموجودة في مكان امين لا يمكن لأي شخص دخوله ماعدا الخزناجي.⁽³⁴⁾ الذي يصاحبه لدى دخوله إليها رفقة أحد الأسرى ويكون مجردا من الملابس دفعا للشبهة. ويرى فانتور دي باردي انه ليس للداي راتب إلا ما يتقاضاه على رتبته العسكرية⁽⁴⁰⁾ رغيفاً يسلمه له شيخ البلد أو ما يتقاضاه من العوائد من قناصل الدول أو من هدايا البايات والقياد.⁽³⁵⁾ أوقاف الداي :

إستعمل الداي محمد بن عثمان الثروة التي جمعها في تشييد المسجد المقابل لقصره حيث يذهب لأقامة الصلاة كل جمعة ،و كذلك في تشييد القلاع والحصون لحماية مرسى الجزائر كما انا ساهم من ماله الخاص في تحصين المدينة بمبلغ 200000 محبوب ومن خصاله الحميدة انه رفض عرض الديوان بأن يعيد له أمواله قائلاً : إنه لا يحتاج شيئاً وانه ما دام سترك بعد موته للخزينة جميع ما يملك فالأولى أن يسلم لذلك وهو بقيد الحياة .

الأفراح والمناسبات زواج الداي :

من الشروط والقوانين التي وضعها الديوان هو أنه لا يحق للداي الزواج فحسب فانتور دي بارادي ،فإنه لا يجوز للداي ان يكون له نساء داخل دار الإمارة ،فإن تزوج فعليه ان يسكن زوجته في منزل آخر بالمدينة أو بصواحيها فدستور الجزائر يمنع الداي من الزواج فإن تزوج فبنتسأله فقط من الديوان ، والفكرة التي أوجدت هذا القانون هي أن الداي يعتبر أباً لجميع الجنود في البلاد فلا يحق له ان يكون لأولاد آخرين ،وأيضاً خشية أن يستعمل موارد الدولة في الإنفاق والتوسيع على عائلته « وعلى الأرجح ان هذا القانون الذي يحرم الداي من الزواج ان الديوان كرس نظام الإنتخاب في التعيين وربما يكون بنظام ديموقراطي أي انه يقطع الطريق أمام التوريث وخلف نظام أسري مثله ما هو حاصل في تونس او ملكي مثله ما هو حاصل في المغرب .

وبالنسبة لهذا لاقانون فلم يطبق لأن الكثير من الدايات تزوج ومنهم من كان متزوجاً قبل أن يعين حاكماً وعلى سبيل المثال فإن الداي علي تزوج واسكن زوجته في منزل ملاصق لدارالحكومة كما ان الداي محمد عثمان تزوج بعدما الح عليه وزراه بالزواج فتزوج إمراء اسمها علجة ارملة علي باشا ويقول الزهار انها باتت عنده ليلة واحدة ثم طلقها ،وقال : إن تزوجت لكي لا اموت اعزب وأحشر شيطاناً .⁽³⁶⁾

الأحتفال بالعيد خصوصية المناسبة الدينية

يصف هاسبيريت إحتفال الداي بالعيد بقوله «... عند رؤية هلال العيد ينقل الخبر على جناح السرعة على الداي ليأمر بإطلاق المدافع غعلنا يأنتهاء شهر رمضان وحلول العيد الذي يعرف عند الأتراك ببيرم وقد جرت العادة في صبيحة اليوم الأول من العيد يذهب الناس على غلقاء السلام وتقديم التهنئة على الأفندي الأكبر أو الداي وأثناء ذلك يكون هذا الأخير معرضاً لخطر كبيرة ولقد ذهبنا نحن بدورنا برفقة القنصل الإنجليزي لتقديم تهانينا للداي فوجدناه في لباس الحفل الرسمي جالسا على جلد نمر في قاعة المجلس واعضاء الديوان يحيطون به وقد وضعت امامه مائدة يتناول عليها وجبة الغداء في اطباق من الفخار.

اما في عيد الأضحى (البيرم الثاني) فيه تقدم أيضا التهاني للداي في قصره وبعدها تحضر كبار الشخصيات وليمة فاخرة على شرفه وتنظم في هذه المناسبة مبارزات بين الجنود الأتراك .⁽³⁷⁾

وكان حكام الجزائر يحتفلون ويسرون بكل ما وقع من فرح وسرور وانتصارات للدولة العثمانية وينزعجون ويحزنون لحزنها ويصف لنا الزهار حالة الفرح التي عمت الجزائر دايًا وشعبًا فرحًا بميلاد نجل للسلطان العثماني مصطفى خان (1757م_1773م) الذي سماه سليم الثالث وهو السلطان الثامن والعشرون من السلالة العثمانية

(1789م-1807م)⁽³⁸⁾ يقول الزهار في هذا المقام :«...وامر الداى آنذاك أهل البلد بجعل الزينة بالأسواق سبعة أيام يزينون الدكاكين بأنواع الفرش وأنواع التحف ويجعلون الآلات الفاخرة وأنواع الفرش ثم وقع التافس بين أهل الأسواق فبالغو في الإحتفال واتوا بضروب الأمتعة الرفيعة من الستائر المذهبة وصنوف الديباج وكسوا بذلك الدكاكين والحيطات وعلقوا المرايا وقناديل كثيرة وثريات ، وإستمر ذلك سبعة أيام بلياليها» كما انه لما ولد السلطان عبد المجيد سنة 1240هـ ضريت المدافع سبع أيام صباحا ومساءً وكتب الأمير(الداى حسين 1818م 1830م) البشارة للبايات ولجميع العمال....»⁽³⁹⁾ افراح الختاف

يذكر لنا الزهار :حفل ختاف أبناء الداى مصطفى (1797م_يقول :«...،،، في سنة 16 يقصد 1216هـ كان ختاف ولديه الأكبرين إبراهيم وأخيه ،وقد صنع مهرجانا كبيرا لم يصنع مثله من قبل أو من بعد وكان ذلك خارج البلد بإزاء بستانه بعين الربط وقد نصب الوطافات والأخبية والقياطين وإستقدم البايات وعمالهم ،وكافة اعيان اوطانهم ونادى مناديه في البلد بدعوة السكان ودعى أهل البلد الخاص والعام وكافة الفقهاء والطلبة وكافة أهل باب الجهاد من أصناف الرؤساء وغيرهم وجمع كل أهل الآلات (يقصد الفرق الموسيقية والمغنيين) على إختلاف أنواعها وإحتفلوا أيضا في نفائس الأطعمة والإكثار منها وكانوا يطعمون كافة الناس ثلاث مرات في كل يوم والقهوة في كل وقت ، وكانت المدافع تضرب كل يوم من جميع الحصون.⁽⁴⁰⁾ وأصحاب الخيل يتسابقون والبلهوانات يلعبون بألعابهم والنوبة تضرب صباحا ومساءً.... وإستمرت الوليمة سبعة أيام وفي اليوم السابع وزع على كل من حضر عشرة محبوب (قطعة ذهبية 3 غرام) لكل واحد وكذلك وزع على أهل المدارس والزوايا وأكثر من غفاسة الصداقات وتعميم الإحسان وأمر بختاف أبناء الفقراء ودام نحو شهر ،، وأطلق سراح جميع من كان في السجن في جميع البلدان من عمالته....إلا من لايجيز الشرع إخراجهم كقاتل النفس...وهناه الشعراء بقصائد كثيرة واحسن لكل واح منهم وبلغ الغاية في العطاء»⁽⁴¹⁾ مدافن الدايات

بالنسبة لوفاة الدايات فإن الكثير من الدايات مات على سريريه وكان يحضى بالمحبة والإحترام من قبل الرعية وحكام أخرون كانت سمعتهم سيئة واتسموا بالمراعاة لأنفسهم ومكاسبهم على حساب إنشغالات المحكومين فتعرضوا للإغتيال ولم تعرف قبورهم ، اما بعض الدايات فقد احيطت قبورهم بالعناية وحتى ان بعضها اصبح مزارات خاصة إذا كانت في أماكن أو مساجد وقف يقول هاسبنسرات :«...وقبور الدايات اللذين يموتون بدون التعرض للقتل من الصعب العثور عليها ،فهى توجد في أماكن داخل المدينة وتتخذ مزارات للتبرك بها ، اما اللذين يموتون نتيجة القتل فيدفنون دون إقامة المراسيم بالمقابر الواقعة خارج باب الوادي ،حيث تشاهد ستة قبور دايات تم إغتيالهم في نفس اليوم الذي تولوا فيه منصب الداى والقبر السابع الذي بجوارهم هو للداى الذي تغلب على منافسيه بفعل قوة مناصريه ،اما باقي القبور فمظهرها يختلف بحسب مكانة أصحابها بين قبر رفيع المقام وآخر اقل شانا...»⁽⁴²⁾ هدايا الدايات

كتقليد من حكام الجزائر من اجل إظهار الإنتماء الروحي للدولة العثمانية وتثبيت لعلاقة الأخوة بين الجزائر والدولة العثمانية ومن أجل تزكية الحاكم العثماني ودعاه لحكام الجزائر ،يقوم حكام الجزائر بإرسال الهدايا وبالمقابل يتلقون الهدايا من الحكومة العثمانية في الكثير من المناسبات ،و يعتبر خير الدين بربروسا اول من ارسى هذا التقليد سنة 1519م عندما ارسى هدايا إلى السلطان العثماني سليم الأول .ونبرز هنا مثال عن الهدايا التي قدمها الداى عثمان باشا (1766م-1793م) بتاريخ 8 مارس 1768م إلى السلطان مصطفى الثالث (1757م-1772م) تتمثل في أربعين زربية من زرابي الصحراء 15 غطاء من الصوف⁽⁴³⁾

و10 صناديق من الذهب والفضة لوضع البارود و50 حزاما حريرا و150 شكارّة من الحرير المطرز بالذهب لوضع الدخان و20 حائكاً ورقلياً أبيض و75 سبحة من المرجان وسبحة خاصة من العاج خاصة لجلالة السلطان وسبحة من العنبر خاصة لجلالة السلطان و20 طزينة من الشواشي التونسية و60 حائكاً مصبوغة و10 حايك خفيفة للسيدات و50 من العبيد الكفار وساعة مرصعة وخاتم بفص من الألماس وزنجيات خضيات ونقود مسلمة عينا 7140 سلطاني . وقد أرسل الداوي عمر هدية للسلطان العثماني حسب الزهر فإنها ثمينة جدا ولم يقدمها أمير من قبل تتمثل في أحجار اليواقيت ومن الجواهر النفيس ومن الذهب الأبريز ، وقد قدرت حجرة واحدة من الحجارة المرصعة في سرج من السروج بستة وثلاثين ألف محبوب أو دورواذ كانت هذه مجموع هدية دايات الجوائر الغالب على الهدية انها متنوعة واغلب صناعتها محليا إذا كانت هذه مجموع هدية الداوي محمد عثمان والغالب على الهدية انها متنوعة واغلب صناعتها محليا. (46)

يرى حمدان خوجة : ان الغرض الرئيسي من الهدية التي لا تتجاوز 5000 فرنك هو تقديم نموذج عن منتوجات الآلة الصناعية 1 وبالمقابل ترد حكومة الدولة العثمانية بهديتها والمتمثلة فيمايلي : 2 أولا القفطان السلطاني والعمامة والسيف هذا أول هدية ترسلها للداوي بمجرد تعيينها أما الهدايا الأخرى فحسب المناسبة وهنا نو ضح الهدية التي أرسلتها الدولة وهذا شيء لا يقدر بثمن وإنما يعبر الناس عنه بالخزائن (47) وإذا كانت هاته الهدايا ثمينة فإنها تدل على وفرة وثراء خزينة الجزائر .

العثمانية بتاريخ 15 رجب 1180 هـ تتمثل في : مدافع Mortier من عيار 200 و2 مدفع من عيار 32 و2 مدفع نحاس من عيار 24 صاريا كبير و38 صاريا صغير و250 مجداف و250 عود للحمالين و22 عود لدفة السفن و60 عجلة للمدافع و200 مجداف كبير و1577 قنبلة للمدافع ومائة قنطار من العلك اليابس » وما يمكننا ملاحظته حول هاته الهدايا انها عسكرية تدخل في إطار التعاون ودعم حكومة آيالة الجزائر وقد أرسلت الدولة العثمانية هدايا على عهد الداوي محمد باشا سنة 1784 م وسنة 1785 م تتمثل في قنطار نحاس و18 عودا مثلثا و500 قنطار من أسلاك الحديد ومجموعة أخرى من الأدوات والمواد الحربية. (48)

هدايا البايات للداوي يقدم حكام الأقاليم (البايليكات) كل ثلاث سنوات وهنا نقدم هدايا باي الغرب للداوي عثمان باشا كمثال على ذلك مع العلم ان باي الشرق وباي التيطري يقدمان أيضا هدايهم ولا تختلف كثيرا ، بالنسبة للمال فتقدر ن الهدية بحوالي 20 ألف دورو ومن المصوغ نصف مقدار ذلك وأربعة من الخيل العتاق ونحو 30 عبدا كبارا و20 عبدا صغيرا من عبيد السودان وحياك القرمز صنعة تلمسان وحياك الحرير المحببة صنعة فاس والبلاغي والرواحي بالذهب واشتراميات (وسادة مرصعة بالذهب) ونحو 20 قنطار من الشمع ومثل ذلك من العسل ومثله من السمف والجوز. (49)

ويذكر لنا تيدنا أسير الداوي ان هدية الباي المقدمة للداوي عثمان (1779م_1782) تقدر ب : 25 بغلا ، 12 عبدا ، 25 قنطار من الشمع ، 50 قربة مملوئة بالزبدة و25 وعاء عسل ، 25 غطاء صوف مرهف أحمر اللون ، 50 لباسا صوفيا لصالح العبيد وهدية للداوي مقدرة ب 20000 قرش ، وبالمقابل يقدم الداوي للباي هدية تتمثل في إثنين من الخيل وبندقية مذهبة وسكين ذهبي .

هدايا إنجليزية كانت تربط الجزائر وبريطانيا في فترة من الفترات علاقة طيبة بحكم أن الجزائر لديها قوة بحرية مهمتها القرصنة في البحر الأبيض المتوسط كما ان هاته القوة البحرية كانت توفر الحماية للدول الصديقة التي بينها وبين الجزائر إتفاقيات صلح وسلم ومنه كانت تقدم الدول (50) الأوروبية الهدايا للجزائر ومن بينها بريطانيا التي كانت في حالة تنافس مع فرنسا خاصة في مجال إستثمار القمح والمرجان وتتمثل هدايا بريطانيا في أنها أدوات ومواد حربية فعلى سبيل في عهدا الداوي محمد : « ، أرسل ملك الإنكليز هدية لوجاف الجزائر واثنا مرصعا

بالأحجار الكريمة.⁽⁵¹⁾

4مدافع وما يلزمها من عيار 40 رطل، ومع هذه المدافع 200 برميل من البارود مطوقة بالنحاس كل برميل به نصف قنطار قنبلة من عيار المدافع....»⁽⁵²⁾

هدية سلطان المغرب

طلب الداوي عمر من سلطان المغرب مولاي سليمان تقديم دعم من أجل إعادة تجديد جيشه وعمارته البحرية فكان رد السلطان كريما وقدم له هبة تتمثل في مركبين من نوع كربيط وبلاندرية وامولا هبة طلب منه منحها للمجاهدين .

هدية أمير طرابلس

قدم أمير طرابلس يوسف باشا سفينة من نوع بلاكرة هبة للداوي عمر. والهدايا كانت شكل من أشكال توطيد العلاقات الداخلية بين الدايات والبايات وبين باقي المسؤولين وهذا التقليد أصبح ساري ومطبق في جميع المستويات من أجل الحصول على وظيفة ومنصب سامي ، كما ان العلاقات الدولية شملها هذا التقليد في تقديم الهدايا مقابل تسير مصالح أو إتفاق صلح إلخ لكن النتيجة الحاصلة هو ان الكثير من الدايات يجمعون في سنوات قليلة ثروات لا يمكن تصورها عن طريق الهدايا .⁽⁵³⁾

وما يمكننا ان نستخلصه من هذه الدراسة وهو ان دايات الجزائر مثلهم مثل غيرهم من حكام العالم على مر العصور، لهم مآلهم وعليهم من إنجازات وإخفاقات في الجانب السياسي، كما ان بعض الدايات يتمتعون بشخصية قوية ذات حنكة السياسية وخبرة عسكرية ، وذلك من خلال فرض منطقتهم السياسي في رفض وقبول التوقيع على المعاهدات الدولية التي لاتخدم مصلحة الأيالة ، كما نجدهم حريصين على التضامن مع دول العالم الإسلامي وذلك من خلال مشاركتهم في الكثير من حروب الدولة العثمانية ضد أعدائها دون قيد أو شرط في ذلك .

اما الجانب الإنساني فنجد انا بعض الدايات لديهم إطلاع واسع وإهتمام بأمور الدين من خلال تطبيقهم لبعض نصوص الشريعة في الأحكام القضائية ومن خلال إيمانهم العميق بالآخرة وتقربهم لله من خلال وقفهم للأموال في حياتهم وبعد مماتهم .

قائمة الهوامش :

- (1) _هابسترايت، رحلة العالم الألماني ج، أو هاسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1732م، ترح وفتح ناصر الدين سعيدوني، درا الغرب، الإسلامي، تونس، ط1_2008، ص، 88.
- (2) _جميلة معاشي، الإنكشارية، المرجع السابق، ص 37 لمزيد من المعلومات انظر أيضا عبد الرحمن الجيلالي : (تاريخ الجزائر العام) ، ج3 د'ج'م'ط' 7 1997 ص' 185. (3) _مصطفى بن عمار : الصراع على السلطة في الجزائر العثمانية (1671م-1830م)، مذرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010، ص44
- (4) p257 40.1998 n.A.R in. emesiecle XVIII aux Alger. paradis de Venture
- (5) _هابيتسترايت، المرجع السابق، ص 28.
- (6) _إبن أبي الضياف : إتحاف اهل الزمان وإخبار تونس في عهد الأمان، تونس، ج2 الدار التونسية والشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط2، د، ت، ص 11، 12.
- (7) _حمدان خوجة ، المصدر السابق، ص 19، ص 94.
- (8) _جميلة معاشي ، المرجع السابق، ص 39 انظر أيضا :إبن ميمون : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1972م، ص 25 أنظر أيضا جميلة معاشي ، المرجع السابق، ص 39

- (09)_ فتية صراوي : الداي حسين ،مذكرة لنيل درجة الماجستير ،جامعة الجزائر (2)، 2011، ص 45.
_ (10) Emerit M). LevoyagedelacondamineaAlgeren1730.in R.A.N98.1954. p292
- (11)_ هابنسترايت ،المرجع السابق ،ص 28.
- (12)_ عمار هلال :أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830م 1966م ،الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية 1995م 'ص 18
- (13)_ خير الدين محمد فارس :تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ،بيروت ،ط2، مكتبة دار الشرق،.(14)_ الأسرى الأمريكان :ترجمة علي تابلت ،ط1،الجزائر 2007، ص 162.
- (15)_ و،و،و، مجموعة 3190 ملف 3و1
- (16)_ حمدان خوجة ، المصدر السابق، ص94.(17)_ فتية صراوي ،المرجع السابق ،ص 52_53، نقلا عن سعد الله أبو القاسم :أبحاث وأراء،المرجع السابق ،ص 248.
- (18)_ سعد الله أبو القاسم : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث وبداية الاحتلال ،المنظمة الوطنية للتربية والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، الجزائر ، 1977م، ص 47.
- (19)_ حسان كشرود ، راتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659م إلى 1630م،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،2008، ص 17.
- (20)_ حمدان خوجة ، نفسه ، ص 94 ،يسمى مرسول الديوان اغا اهدية يحمل معه هدية الجزائر يطلب من الباب العالي شفاهيا ان يعطف على الأيالة ويطلب المساعدة والحماية انظر :حمدان خوجة نفسه ،ص 95.
- (21)_ مصطفى بن عمار، المرجع السابق، ص 46 نقلا عن :
- DEGrammont.de . histoire d'Alger Sour la domination turque1515-' 1830'paris 'E'leroux.1889.pp276.277
- (22)_ محمد خير الدين فارس ،المرجع السابق،ص 71،70.
- (23)_ سعيدوني نصر الدين :الجزائر في التاريخ في العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1981، ص 15.(24)_ هابنسترايت،المرجع السابق ،ص 39
- (25)_ سعيدوني نصر الدين ، ورفقات "" المرجع السابق،ص 160
- كما يحرص الداي على حقوق الموظفين وجند الإنكشارية بدفع أجورهم انظر : حسان كشرود:المرجع السابق، ص 184.
- (26)_ مصطفى بن عمار،المرجع السابق،ص 93.
- (27)_ أحمد الشريف الزهار:«مذكرات»تحقيق أحمد توفيق المدني ، ش.و.ف.ت.الجزائر،1972، ص 38.
- (28)_ انفسه ص 94.
- (29)_ انفسه ص 165.
- (30)_ توفيق المدني ، محمد عثمان ، المرجع السابق، ص 164.
- (31)_ Cano_Lonzo.Histoire d'alger....op.cit.p14
- (32)_ جمال قنات :نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830،م،وط،الجزائر،ط1،ص 235،234
- _ (33) Thomas Shaw.Voyage dans la regence d'alger.traduit de l'anglais par

J.Mac.carthy 2eme.edition.tunis1956p

- (33)_ هابنسترايت، المرجع السابق، ص 30_42. و ومن أهم إقامات (القصور) الداوي وعائلته والمشهورة في تلك الفترة قصر القصبة _ قصر الجنينة _ دار عزيزة _ دار حسف باشا المعروفة بقصر الشتاء _ دار الوصيفة العلجية
- (34)المعروفة بدارقسوم _ دار خوجة الخيل _ دار مصطفى باشا _ دار الصالح رايس أودار احمد _ دار الصوف _ دار الحمراء _ دار خداوج العمياء _ دار قبطان رايس _ دار الرئيس حميدو _ دار الخل _ قصور رياح البحر المعروفة بحصن 23 انظر : علي تابلت، المرجع السابق، ص 35.
- (35)_ توفيق المدني، محمد عثمان ... المرجع السابق، ص 163_165.
- (36)_ توفيق المدني، محمد بن عثمان،،، المرجع السابق، ص 16537)_ الزهار، المصدر السابق، ص 38
- (38)_ هاسبرانت، المرجع السابق، ص 49
- (39)_ نفسه، ص 80)
- (40)_ يقصد الزهار هنا الداوي علي باشا بوصبع الملب بنقسييس تولى الحكم سنة 1754م لمزيد من المعلومات حول الداوي علي بوصبع انظر : صليحة جبار : الداوي علي بوصبع ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر 2.
- (41)_ الزهار، المصدر السابق، ص 29_30.
- (42)_ الزهار، المصدر السابق، ص 110.
- (43)_ هاسبرانت، المرجع السابق، ص 40.
- (46)_ عزيز سامحالت: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة، محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. 1998، ص 72. الزهار ، المصدر السابق، ص 150
- (47)_ حمدان خوجة ، مصدر سابق، ص 94
- (48)_ احمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766م_1791م سيرته ، حروبه ، أعماله ، نظام الدولة والحياة العامة فيعهده، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986، ص 150_151
- (49)_ المرجع السابق، ص 151.
- (50)_ فلة الموساوي القشاعي ، النظام الضريب في الشرق الجزائري المرجع السابق ص 88 انظر ايضا : توفيق دحماني ، النظام الضريبي ببايلك الغرب ، المرجع السابق ، ص 103_105
- (51)_ المرجع السابق ، ص 88
- (52)_ نفسه ، ص 158
- (53)_ منور مروش ، القرصنة ،، المرجع السابق، 463